المسيحية كانت فى حرب مع نفسها واليابان والصين كانتا في حرب لكن هذه الحرب لم تنشب بسبب الدين فبعض الحروب قد تبدو حروباً دينية ولكن لها أسباباً أخرى مثل أطماع بعض الملوك والحكام، أود أن أقول إن الإسلام يتميز بإقامة التوازن بين الماديات والروحانيات دون أن يطغى أحدهما على الآخر ودون أن يستبعد العلم، إن هذا ميزة غير موجودة فى الأديان الأخرى.

سؤال: ما هى العلاقة المثلى بين السياسة والشريعة الإسلامية ونحن جميعا ندرك أن هذا هو أحد الموضوعات التى يثير حولها الغربيون جدلاً، خاصة وأنهم يصرون علىْ فصل الدين عن السياسة كشرط لتحقيق الديمقراطية الحديثة؟

– لا يمكن فرض الإسلام على غير المسلمين، ولا يمكن فرض الإيمان على أحد، وجميع الزديان تحث على الفضيلة، وقوانين الأحوال الشخصية لغير المسلمين تطبق على شؤونهم، ويتبقى القانون المدنى والجنائى، ويقول بعض علماء المسلمين أن القوانين الجنائية فى الإسلام ينبغى ألا تطبق على غير المسلمين إلا أن القانون المدنى ينظر اليه المسلمون على أنه الشريعة وعلى غير المسلمين أن ينظروا اليه على أنه مجرد قانون يماثل القوانين المدينة التى استوردناها من فرنسا أو من بريطانيا، والذى تقبله الأغلبية ينبغى أن يسود والديموقراطية هى حكم الأغلبية.

سؤال: هل تخطط لزيارة اليابان فى القريب؟

لقد زرت اليابان ثلاث مرات عام 1975و 1977و 1997 وزرت مدناً ومؤسسات عدة وكانت الزيارة بناءً على دعوة من مسلمى اليابان. أرجوا أن تبلغهم تحياتى.

القرضاوى يوافق على الهدنة مع إسرائيل

طلبت من أمير قطر غسل يديه بعد مصافحة بيريز

«أسئلتك بالغة الصعوبة والقسوة هذه المرة». هكذا علق فضيلة الدكتور يوسف القرضاوى – الداعية الإسلامى الكبير ورئيس مركز بحوث السنّة "

بجامعة قطر – بعد أن أنهيت حوارى معه الذى جرى بمكتبه قبيل ساعات من قيامه برحلة عمل إلى المملكة العربية السعودية. . وقد تأجل موعد هذا الحوار أكثر من مرة بسبب سفريات الشيخ العديدة خارج قطر التي يقيم بها منذ أكثر من ٣٥ عاما.

ورغم قسوة وصعوبة الأسئلة فإنه لم يرفض الإجابة عنها، وانطلق مفندا الاتهامات والرؤى المغايرة لرؤيته.

أجمع الفقهاء ورجال الإفتاء على حرمة زواج المسيار لما يسببه من أختلاط للأنساب وفساد خلقى واجتماعى وضياع لحقوق الزوجات، كما اعتبر العديد منهم أنه باب من أبواب الزنا، وقد كان لفتواكم بحل زواج المسيار صدى واسع. . ألا ترون أنكم بذلك خالفتم إجماع العلماء وساعدتم على انتشار البلبلة بين الرأى العام العربى والإسلامى؟

– هذه: دعوة مرفوضة فليس هناك إجماع من العلماء على رفض ما يسمى بزواج المسيار، بالعكس، إن عددا من العلماء، وأكاد أقول معظمهم يوافق على رؤيتى لزواج المسيار والحقيقة أنا لا تهمنى التسمية، فالعبرة فى الأحكام الشرعية للمسميات والمضامين وليس للأسماء والعناوين فهذا الذى يسمى زواج المسيار ليس زواجا جديدا وإنما هو الزواج الذى يقوم فيه الزوج بالتوجه إلى بيت الزوجة. . وليست المرأة التى تتوجه إلى بيت الرجل، ومن هنا المرأة تكون باحثة فقط عن «الستر» «ضل رجل ولا ضل حيط» حسبما يقول المثل الدارج وهى فى هذه الحالة لا ترغب فى أن ينفق عليها الرجل أو يوفر لها سكنا وإنما تريد رجلا يستر عليها فتتزوج من هذا الرجل، وأحيانا أخرى تكون المرأة لديها أطفال من زوج توفى وتتزوج من رجل يأتى إليها فى بيتها وذلك رأيته بعينى كثيراً فى قريتنا بمصر، وفى عصرنا الراهن هناك نساء بعضهن مطلقات ونسبة الطلاق للأسف عالية جداً فى بلاد الخليج، وكذلك هناك أرامل مات عنهن أزواجهن، وهناك عوانس فاتهن قطار الزواج بفعل التعقيدات التى أدخلها الناس وعسّروا بها

ما يسر الله. وكثيرات من هؤلاء موظفات لديهن المال والبيت ويرون رجلا متزوجا من قبل، والرجل لا يريد أن ينقلها إلى بيت زوجته لأنه كما تعلم أصبح فى عصرنا - للأسف - تعدد الزوجات كأنه جريمة منكرة وحكم بالإعدام على الزوجة الأولى لذلك فإن الرجل يتفق مع المرأة على الزواج بها ويأتى إليها فى منزلها من خلال عقد شرعى - وهذا ما أكدت عليه مرارا - وبشهود وبقبول وإيجاب.. وهو عقد غير مؤقت ويتسم بالديمومة وليس كزواج المتعة والمحدد بفترات زمنية وهو عقد كذلك تترتب عليه آثاره.

وماذا بخصوص حقوق أبناء هذا الزواج؟

أبناء هذا الزواج شرعيون، فهذا الزواج فى المملكة العربية السعودية والإمارات يسجل فى المحاكم الشرعية كل ما فى الأمر أن الزوجة لاتريد بيتا ولا نفقة.. فما المانع فى هذا الزواج؟ ما المانع من إشباع حاجات فطرية بشرية لدى كثير من إخواننا وأخواتنا المسلمات، البعض يقول وكأن المقصود بهذا الزواج هو الناحية الجنسية فقط؟ حتى ولو فرض أنه كذلك فإن المسألة الجنسية لها اعتبارها فى المنظور الإسلامى.

السلام مع إسرائيل

قضية أخرى مازالت تشهد جدلا وتتعلق بموقفك من السلام مع إسرائيل فبينما أفتى العديد من العلماء بجواز الصلح مع إسرائيل رفضتم هذه الفتوى فهل ذلك خلاف شرعى أم أنها معارضة من أجل المعارضة واختلاف من أجل الاختلاف يساهم انتشارك الإعلامى فى طرحه بقوة على الرأى العام؟

- إننى أدهش لمثل هذا الطرح، لقد شاركت فى اجتماع للمجامع الفقهية بالكويت قبل سنوات، وقد صدرت فتوى من العلماء الذين شاركوا فى هذا الاجتماع ووقع عليها أكثر من ٣٠٠ عالم من مختلف أنحاء العالم الإسلامى بتحريم الصلح مع إسرائيل بالطريقة التي تجرى الآن، كما شاركت قبل بضعة أسابيع فى اجتماع المجمع الفقهى بالبحرين وأصدر العلماء فتوى أخرى جديدة

تؤكد الفتوى القديمة ووقع عليها عدد كبير من العلماء أيضا.. وبالتالى فإن دعوى الإجماع على جواز الصلح مع إسرائيل غير صحيحة.. إنك تتحدث عن علماء يتأثرون بأوضاع معينة تكون سببا فى فتواهم أو لعلهم لا يعرفون الواقع معرفة صحيحة.. لقد ناقشت الشيخ عبدالعزيز باز فى فتواه على صفحات الصحف وقتها وهو من العلماء البارزين المرموقين ومن أقرب العلماء إلى نفسى لكن قلت إن فتوى الشيخ بن باز حفظه الله مبنية على عدم معرفة بفقه الواقع، إنه لم يعرف بالضبط ما وراء هذا الصلح والمفتى يجب أن يفقه النصوص وأدلتها ويفقه الواقع حتى تكون فتواه سليمة، وما اقتنع به أن فتواى بعدم جوازالصلح مع إسرائيل مبنية علي أساس أن أرض الإسلام لا يجوز التنازل عنها بصورة اختيارية فهذه الأرض لا يملك أحد أن يتنازل عنها، أنها أرض الأمة الإسلامية وروتها دماء المسلمين من الصحابة وتابعيهم.

– لكن يا فضيلة الشيخ.. لقد أقر الشيخ أحمد ياسين الزعيم الروحى لحركة حماس بإمكانية قيام هدنة مع إسرائيل..

– الهدنة شرعا أمر جائز وأنا لا أمانع فى ذلك فالهدنة تعنى أن نكف عن القتال وهذا ما فعله صلاح الدين مع الصليبيين وهى بذلك تختلف تماما عن الصلح الذى يعنى بوضوح اعترافا صريحا بأن ما استولى عليه اليهود من أرضنا أصبح حقا لهم فهذا لعب بالدين، إنه ليس من الشرع فى شىء ويعنى أننا أصبحنا نفتى بالهوى وأننا أصبحنا فقهاء السلاطين أو علماء السلطة.

– فى السياق ذاته.. فإن فضيلتك عندما انعقد المؤتمر الاقتصادى للشرق الأوسط فى نوفمبر ١٩٩٧ لم تعلن معارضتك له رغم أن إسرائيل شاركت فيه وقاطعه العرب.

– هذا غير صحيح فقد أعلنت رفضى القاطع للمؤتمر فى خطبة الجمعة.. والى بثت مباشرة على الهواء من تليفزيون وإذاعة قطر والتى ألقيها بالمسجد الكبير وهو أحد المساجد التابعة للدولة كما أعلنت هذا الموقف عبر قناة الجزيرة

ويعلم المسئولون فى قطر موقفى هذا ويقدرونه وفى الحقيقة لم يلمنى أحد على موقفى أو حتى يوجه إلىّ مجرد عتاب وأنت تعلم حينما زار شيمون بيريز – رئيس الوزراء الإسرائيلى – الدوحة أعلنت على المنبر أنه علي الذين صافحوا بيريز ووضعوا أيديهم فى يده أن يغسلوا هذه الأيدى سبع مرات.. إحداهن بالتراب.

فى حديث سابق لـ «الأهرام العربى» قلت ردا على سؤال حول ما ذكره أحد الصحفيين إن إخوان قطر وراء عملية الأقصر الإرهابية هذا كلام يمثل ضربا من الهذيان ولا يستند إلى حقيقة، فالإخوان يدينون العنف وينكرونه ومن هم إخوان قطر، هل المقصود أنا؟ ربما أكون أبرز من يمثلهم فى قطر لكننى أدين العنف بكل قوة ووضوح وأدنت عملية الأقصر..

– وهنا تعلن فضيلتك صراحة أنك أبرز من يمثل إخوان قطر لماذا أعلنت فى حوارات عديدة سابقة أخرى أنك لست عضوا بالإخوان ولا علاقة لك بالتنظيم الدولى؟

بداية أقول إننى أدنت عملية الأقصر فى خطبة جمعة كاملة أنكرت قتل الأبرياء المدنيين والسياح بشدة وأرى أن ذلك جريمة فى دين الله وفى دنيا الناس.. أما فيما تسألنى عنه فأقول لك أنا لست من الإخوان تنظيميا ولكن من الإخوان فكريا وأنا لا أتنكر لدعوة الإخوان وربما يعتبرنى الإخوان مفتيهم أومنظرهم وهم يستفيدون من كتبى وأنا مع فكرة الإخوان الكلية والعامة فى نصرة الإسلام وتحقيق أهدافه وفى إقامة المجتمع الإسلامى وفى الحماسة لكل ما هو إسلامى ومقاومة التيارات التى تريد أن ترتد بالأمة القهقرى، وأنا أمثل الإخوان فى هذه القضايا.. ولكن ليست لى علاقة تنظيمية بهم.

– بعد أن كثر الحديث حول فوائد البنوك وهل هى ربا محرم أم أنها حلال اعتبرت دار الإفتاء المصرية أنها حلال وفقا لفتاوى الشيخ نصر فريد واصل واعتبر شيخ الأزهر أنها أيضا حلال وقال إنه لا توجد بنوك إسلامية وغير إسلامية ومع ذلك أنت تصر علي أن فوائد البنوك حرام وأن البنوك الإسلامية هى الحلال

وبعيدة تماما عن الربا فهل تنطلق فتواك من الأقوال التى تتردد حول مساهمتك فى رأس مال العديد من البنوك الإسلامية؟

– نعم أنا أساهم فى بنوك إسلامية لكنها مساهمات رمزية. وأنا أرى أن ذلك نوع من التشجيع لهذه المصارف والمؤسسات الإسلامية وقناعه منى بأن هذه البنوك تمثل التوجه الإسلامى فى التحرر من الفوائد الربوية التى ابتلانا بها الاستعمار. فالبنوك التقليدية القائمة فى بلادنا لم نصنعها وإنما هى من مخلفات الاستعمار الرأسمالى وأنظمته الربوية.. وأثبتنا لهم نظريا وعمليا أن إقامة بنوك لا تمنح فوائد ممكنة والبنوك الإسلامية تتسع لكل الأنشطة المصرفية والمالية وعندما أفتى بتحريم فوائد البنوك الربوية فلست وحدى الذى أفتى بذلك.. وإنما سبقنى فى ذلك مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر فى عهد الشيخ حسن مأمون وفى وجود علماء يمثلون ٣٥ دولة وأكدوا وقتها أن فوائد البنوك هى الربا الحرام كما أكدت ذلك مجمعات فقهية عديدة.

– البعض يقول إنك تحولت إلى واحد من مشايخ الفضائيات العربية وأنك لم تحقق شهرتك إلا بعد اعتقالك فى مصر أوائل الستينيات لانتمائك لجماعة الإخوان المسلمين «المحظورة» ثم تلقفتك وسائل الإعلام العربية التى كانت تقف ضد مصر فى المراحل الأولى من عملية السلام. ونصبتك شيخا لمصالحها السياسية واستفدت أنت من هذا الموقف لتحقيق مكاسب مادية وشخصية؟

– إننى لم أسع إلى هذه الفضائيات ولكن مشاركتى فيها تفرض علىّ فرضا وأنا لا أستطيع أن أعتذر عن عدم المشاركة فمنذ أن نشأ تليفزيون قطر قبل ثلاثين عاما وأنا أقدم برنامجا دينيا كل يوم جمعة اسمه «هدى الإسلام».. وأحسب أنه برنامج مشاهد، حتى الآن وعند التفكير فى إنشاء قناة الجزيرة فى قطر رجانى المسئولون عنها أن أشارك فى برنامج «الشريعة والحياة» ونظرا لأننى فى قطر قلت: لا مانع خصوصا أننى على صلة بالمسلمين فى أوروبا وأمريكا وأرى أن هؤلاء محتاجون إلى فقه التيسير الذى أتبناه، من أجل ذلك قبلت أن أعمل

فى برنامج «الشريعة والحياة» بالجزيرة ولم أكن أرغب فى أن أذكر ذلك لأنني لا أحصل على مليم واحد من قناة الجزيرة، وذلك ردا على ما ذكرته فى السؤال أننى استفدت ماليا من هذه القنوات.

– ألا تلاحظ فضيلتك هذا العزف الأمريكى علي وتر ما يسمى بالاضطهاد الدينى للمسيحيين فى مصر.. وثمة حملات غربية عديدة على هذا الصعيد كيف ترى هذه المسألة؟

– لم يحدث فى تاريخ مصر أن كان هناك اضطهاد دينى أو طائفى وكانت دائما الإخوة والوحدة الوطنية هى التى تسود المجتمع المصرى.. دوما ولم يحدث ذك لهذه الفتن إلا فى عهد الاستعمار الذى اراد أن يلعب بهذه الورقة ويتخذ منها أساسا للتدخل فى شئون مصر لكن إخواننا الأقباط كانوا أذكى وأكثر وطنية ولم يستجيبوا لهذه المكائد الأجنبية.

حوار فى التحديات الجادة أمام العقيدة (١)

الفقة التقليدى ساند المسرفين فى الطلاق

يتناول الجزء الأول من هذا الحوار قضايا ساخنة أخرى مثل الزواج العرفى وزواج المسيار والمتعة، ومفهوم الاختلاط ومصير مؤسسة الزواج المتعارف عليها إسلاميا، بالاضافة الى قضية «الخلع» وهي الآن حديث الشارع المصري والمجتمعات الاسلامية وغيرها من القضايا.

ويتناول الجزء الثانى الذى تنشره «زهرة الخليج» الأسبوع المقبل، نظرة الاسلام الى الثقافات الموروثة والوافدة، وموقفه من فوائد البنوك، والاستنساخ والتداوى..

الزواج بالانترنت

* جاء فى تعريف باب الزواج ضمن خدمة الاسلام على الانترنت، انه

خدمة مجانية لمن يود من الجنسين الاعلان عن رغبته فى الزواج. ما مدى الحاجة الى هذا الباب فى زمن أصبح الاختلاط بين الجنسين هو القاعدة؟.

صحيح أن الاختلاط اصبح موجوداً فى هذا الزمان ولكن مع ذلك يوجد كثير من الرجال الذين لا يجدون المرأة التى تناسبهم ويوجد كثير من الفتيات لا يجدن الرجل الذى يلائمهن. وكثرت العوانس فى البيوت وكثر الشباب الذين لا يجدون الزوجة. ومهمة الموقع ان يفسح المجال أمام الشاب للاعلان عن رغبته ومواصفاته المطلوبة فى الزوجة المنشودة، وكذلك الفتيات، وأن يوصلهم فقط بعضهم ببعض، وعليهما أن يتما الأمر. فالبرناج لا يعقد زواجا وكل مهمته هى توصيل رأسين فى الحلال بمعنى أنه يسهل لهما طريقة التعارف. وأعرف من أقاربنا من تزوج عن طريق الانترنت، حدث بينهما بالصدفة حوار عبر الإنترنت حيث كان الشاب يدرس فى أمريكا، وتواصلا وتعارفت العائلتان واتموا الزواج. وهذا هو المقصود بهذه الخدمة.

زواج متنوع

* زواج المسيار، الزواج العرفى الزواج السرى، زواج المتعة، مسميات لأشكال عديدة من الزواج، ماهو حكم الشرع فى كل منها؟ وكيف عرفناها؟

– الزواج العرفى يقصد به الزواج غير الموثق الذى ليس مسجلا عند القاضى الشرعى أو عند المأذون، وهو زواج مستوف أركانه الشرعية فيه إيجاب وقبول ومهر و شهود، وفى بعض البلاد يكون فيه ولى أيضا، بينما بعض البلاد لا تشترط الولى فالأحناف لا يشترطون الولى، ولكن يشترطون أن تتزوج المرأة بكفء لها ولو تزوجت بغير كفء من حق أوليائها أن يعترضوا كأن تكون مثقفة، وتزوجت رجلا أميا: أو لو تزوجت رجلا من مستوى أدنى بكثير من مستوى أسرتها، أو نحو ذلك فمن حق أوليائها أن يعترضوا.

فالزواج العرفى هو الزواج الذى يتم بشروطه الشرعية، لكنه لا يسجل لأسباب معينة عند الزوج أو عند الزوجة كأن يخشى الزوج من زوجته الأولى، أو

نحو ذلك فهو يفعل هذا ويشهد عليه الشهود ويكتب ورقة للزوجة لكنه زواج غيرمسجل، و هذا كان زواج المسلمين طوال العصور الماضية، ولم يكن الزواج يسجل فى محكمة أو عند مأذون، ولكن فى العصر الحديث وجد أن الناس قد يتنكرون فقد يتزوج الرجل المرأة ثم يقول لها لم اتزوجك، أو تدعى امرأة على الرجل أنه زوجها، وتقول بعد وفاته مثلا انه زوجها، وربما تحضر شهودا على ذلك فترث من تركته ولذلك رؤى أنه من المصلحة أن يكون الزواج موثقا مسجلاً، ولذلك عندما ترفع زوجة على زوجها دعوى نفقة، وكان زواجهما عرفياً فإن المحكمة لا تسمع هذه الدعوى.

فى السر

* وماذا عن الزواج السرى؟

– الزواج السرى يقصد به عند بعض الناس الزواج العرفى فالزواج السرى عندهم هو زواج العرفى ويطلقون عليه السرى على أساس أنه غير معلن إنما فيه الحد الأدنى من الاشهار وهو الشهود وفى مذهب المالكية يشترط ألا يقول الزوج عند العقد اكتموا هذا فإذا قال عند العقد، اكتموا هذا الزواج فإنه يبطل عندهم، إنما اذا قال بعد العقد مثلا، «إنه من المصلحة عدم إشاعة الخبر» فإن العقد صحيح والمهم انه عند العقد لا يوصى بالكتمان، وإذا كان ما يقصد بالزواج السرى هو الزواج العرفى غير المسجل وغير المعلن إعلانا فهذا زواج صحيح.

أما إذا كان المقصود بالزواج السرى ذلك الذى يتم بين الرجل والمرأة كأن تقول له «زوجتك نفسى» أو «قبلت» وغيره دون شهود فهذا ليس زواجا لأنه غير مستوف أركان العقد وليس فيه الحد الأدنى من الاشهار وهو الشهود فهذا الزواج حرام.

أما زواج المتعة فهو زواج بين الرجل والمرأة مدة معينة بمبلغ معين كأن يقول لها «تزوجتك مدة سنة بمبلغ كذا» وهو محرم عند أهل السنة ويجيزه أهل الشيعة.

* وماذا عن زواج المسيار؟

– إنه زواج ينتقل فيه الرجل الى بيت المرأة ولا تنتقل فيه المرأة إلى بيت الرجل وسمى مسيارا لأن الرجل يسير الى المرأة من حين إلى آخر وكثيرا ما يسير إليها فى النهار وكان يكون عند زوجته الأخرى ليلاً حتى لا تعرف بأنه متزوج فيذهب الى هذه فى النهار وتلك فى الليل، أو نحو ذلك.

إنه زواج شرعى حتى إن بعض البلاد تسجله وتوثقة، مثل المملكة العربية السعودية وفى هذا الزواج تقول الزوجة للزوج انها لا تريد منه شيئا فهى لديها أموالها من وظيفة أوإرث ولكن ربما فاتها القطار أو ترملت أو طلقت وهى فى سن مبكرة فأصبحت بحاجة إلى «ظل رجل» كما يقولون فتتزوج الرجل المناسب لها وتقول له إنها متنازلة عن النفقة والسكن ويتفقان على ذلك.

والواقع أن ذلك كان يقع فى مجتمعاتنا فى الماضى، وهذا هو زواج المسيار، و هو زواج مستوفى الشروط من شهود ومهر وإيجاب وقبول وفى بعض الحالات يكون الولى نفسه موجودا فإذا نظرنا الى الزواج العرفى فهو زواج شرعى من حيث المشروعية وكذلك زواج المسيار وحتى زواج المتعة عند الشيعة ليس زواجا كاملا ولذلك يبيحون للرجل أن يتزوج متعة وعنده أربع نساء، لأن زوجة المتعة لا تعتبر من الزوجات الأساسيات اللاتى لهن حقوق كاملة.

عسر العسل

* ولماذا ظهرت هذه الأشكال من الزواج؟

– زواج المسيار والزواج العرفى يحققان اهدافا معينة لبعض الناس فى مراحل معينة وهذا من السعة الموجودة فى الشريعة والمرونة الموجودة فى الفقة الاسلامى حيث يمكن تحقيق احتياجات الناس فى ظروف معينة والزواج العرفى موجود منذ زمن ففى الماضى كان الناس يعرفون أن فلانا تزوج فلانة دون تسجيل أو ورقة، وربما فى عصرنا هذا اتسعت حاجات الناس وكثرت مشكلاتهم واصبحت نفقات الزواج غير مقدر عليها عند الكثيرين من الشباب حيث لا

يستطيع الشاب فى أول حياته أن يحقق هذا الأمر لأنه يحتاج الى المهر وإلى تأثيث البيت وإلى شبكة والى احتفالات عديدة وكل هذه تكاليف عسر الناس بها ما يسر الله فكانت النتيجة أن بعض الناس أخذوا يفكرون فى هذه الأنواع من الزواج.

ولكن أريد أن أنبه الى شيء ما يتعلق بالزواج العرفى وهو ما يجرى الآن فى بعض البلاد مثل مصر وذلك فى الجامعات من تزوج الطلاب والطالبات زواجا عرفيا ولكنه فى الحقيقة ليس الزواج العرفى المألوف فهذا الزواج ليس فيه الا الاستمتاع الجنسى فقط ولا يريد الزوج أن يستمر مع زوجته بعد ذلك فهو زواج مدة الطلب فقط، ولذا فهما يكتمان ذلك، حتى عن أقرب الناس إليهما ثم تصبح الزوجة بعد ذلك فى مشكلة بعد أن يطلقها لأنها لم تعد بكراً ولا تستطيع أن تصارح أهلها بما حدث فتمتنع عن الزواج. وهذه آفة كبيرة وهذا النوع من الزواج لا أقره ولكننى أقر ذلك النوع من الزواج العرفى الذى كان يحدث فى القدم ويستمر الزوج مع زوجته سنوات طويلة، وقد ينجب منها ويعترف بالأبناء.

وعلمتُ أن قانون الأحوال الشخصية الجديد فى مصر اعترف بالزواج العرفى فى أمر واحد وهو أن تطلب المرأة الطلاق. وهذا معقول جداً لأننى أعرف حالة معينة أراد أحد الآباء فيها أن يزوج ابنته بخاطبها زواجاً عرفيا فى فترة الخطبة، حتى يدخل البيت ويستطيع أن يخلو إلى خطيبته، وأن تراه أمها دون حرج، ورأى الوالد لذلك أن يعقد زواجا عرفياً بين ابنته والشاب، خلال هذه الفترة حتى يتعرف كلاهما على الآخر ولكن بعد مدة وجد أنهما لا يصلحان لبعضهما البعض، فطلب من الشاب أن يطلقها فرفض إلا إذا دفع له مبلغا كبيراً من المال. وكنا فى حيرة ماذا نفعل؟ فلو ذهبت الفتاة إلى المحكمة فلن تقبل دعواها لأن الزواج عرفى ولكن القانون الجديد يجعل المحكمة تنظر فى مثل هذه الحالات.

معوقات الزواج الشرعى

* وماذا عن مؤسسة الزواج الشرعى يشكلها المعروف؟ هل يعنى ظهور

تلك الأنماط من الزواج أنها تواجه أزمة؟ أم أنها من وجهة نظر البعض، أصبحت غير قادرة على مواكبة احتياجات ومتطلبات إنسان هذا العصر؟.

– لا أجد أن هناك خطراً ولكنى أجد أن هناك مشكلات تعوق الزواج الشرعى الطبيعى المألوف والمعتاد، ومنها مشكلات اقتصادية مثل التعسف فى طلب مهور عالية جداً كما هو فى بلاد الخليج، وبلاد الشام. وأحياناً العكس فى بلاد مثل مصر وباكستان حيث يطلب من الأب أن يجهز بناته ويتكفل بجزء كبير من نفقات الزواج، إن لم تكن جميعها، وهناك أحياناً مشكلات اجتماعية، مثل تلك الموجودة فى بلاد الخليج حيث لا يتزوج الخليجى إلا خليجية والبنات يشكين من هذا الأمر الذى قد يكون بالنسبة للشباب فيه حماية لبناتهم، أما بالنسبة للفتيات فإنه لا يحقق شيئا حينما يتقدم للفتاة من هو سورى أو مصرى أو سودانى أو عراقى وهو لائق بها ومناسب لها من ناحية مركزه المالى والاجتماعى.

وهناك أحيانا أيضاً اعتبارات اجتماعية كأن يقول: هذا من أسرة أدنى من أسرتنا، أو من قبيلة دون قبيلتنا. أو أن لونه أسمر. هذه أيضاً مشكلات لابد من النظر فيها. وهناك النفقات الهائلة التى يتكلفها الناس فى الزواج.

وهنا فى دولة الإمارات، فكرة جيدة لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة، وهى إنشاء صندوق للزواج يساهم فى حل مشكلات الزواج وإعانة غير القادرين وتيسير الأمور وتسهيل الصعاب بالنسبة لهم. وهذا ما ينبغى أن يحدث فى كل بلد على قدر استطاعته.

الخُلع

* ماهو المقصود بالخُلع؟ وماذ أضاف للمرأة والأسرة، واعتماده ضمن قانون الأحوال الشخصية فى مصر؟ الا يعني القبول به إن الزوجة كانت محرومة بموجب القانون من أحد حقوقها الشرعية التى منحها لها الإسلام؟.

– الخلع هو تمكين المرأة من أن تخلع نفسها من الارتباط بالزوج، وهو

مأخوذ من خلع الثياب. قال الله تعالى: ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ** ﴾ - صدق الله العظيم وسمى الخُلع أحياناً، الفدية، الافتداء أخذاً بما جاء في القرآن الكريم ﴿ **وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ** ﴾ صدق الله العظيم أى أنه لا يحل للرجل أن يأخذ من المرأة شيئاً فى حالة اضطراب الحياة الزوجية وأن يخافا ألا يؤدى كل منهما حقوق هذه الحياة الزوجية ويكون الخُلع من قبل الزوجة بمعنى أنها هى التى تريد إنهاء العلاقة بينها وبين الرجل. أما إذا كان الرجل هوالكاره للمرأة ويُريد أن يتزوج امرأة أخرى فلا يجوز له أن يُضيق عليها ويؤذيها لتفتدى نفسها منه، فهذا حرام. فإن كان الرجل هوالكاره للمرأة لا يجوز له أن يأخذ منها شيئاً، وإنما يأخذ منها فى حالة كراهتها وبُغضها له.

لما جاءت امرأة ثابت بن قبيس، وهو أحد الصحابة وقالت: «يارسول الله إنى لا أعيب على قيس فى خُلق ولا دين، ولكنى أكره الكفر فى الإسلام». وكانت تعنى كفر العشير، فهى لا تريد أن تكفر هذا العشير ولا تؤدى إليه حقوق الزوجية ولذلك تريد فراقه. وفى بعض الروايات إضافة «إنى لا أطيقه بغضاً»، فقال لها النبى (ﷺ): ماذا أعطاك»؟. قالت: أعطانى حديقة. قال (ﷺ): «أتُردين عليه حديقته؟». قالت: نعم. وفى بعض الروايات قالت: «نعم، وزيادة». فقال النبى (ﷺ) لزوجها: «إقبل الحديقة وطلّقها تطليقة».

فهل قوله (ﷺ): «إقبل الحديقة». من باب المشورة على الرجل أم من باب الإلزام؟. قال أكثر الفقهاء إنه من باب المشورة إليه والنصيحة له، وليس من باب الإيجاب والإلزام له. ولذلك قالوا إن الخُلع لا يتم إلاّ بموافقة الزوج.

وهذا هو ما كان سارياً فى المدة الماضية حيث كان الخُلع يتم إذا وافق الزوج. والجديد فى قانون الأحوال الشخصية (المصرى) أنه أخذ بالرأى الآخر الذى يقول إن من حق القاضى أن يلزم الزوج بالخُلع. وهنا جرى الكلام واعترض المعترضون.

وأنا لا أرى مانعاً من أن يحكم القاضى بالخُلع، ولكن بعد أن يتريث فى هذا، لأن المرأة تتسرع فى النفرة من الرجل، ونجد فى الحياة أنه لمجرد أن تغضب الزوجة تقول لزوجها: طلقنى! فالمرأة يمكن أن تتسرع وتهدم بيتها من أجل عاطفة طارئة. والطلاق هو أبغض الحلال إلى الله، والتفريق بين المرء وزوجه من أعمال السحرة الكفرة ومن الكبائر. فالرجل لا ينبغى أن يسارع فى الطلاق، والمرأة لا ينبغى أن تسارع فى طلب الخُلع لِمَا جاء فى الحديث الشريف: «أيّما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة». لأنها تهدم هذه المؤسسة وتنقض هذا الميثاق الغليظ فحرام عليها رائحة الجنة. وجاء فى الحديث أيضاً: «المختلعات هن المنافقات». والمقصود بذلك الزوجة التى تطلب الخُلع بلا سبب. وهذا الحديث ينفر المرأة من نقض الحياة الزوجية والإبقاء على هذه المؤسسة.

محاذير

* هل تجد محاذير فى الخُلع؟

– إن كثيراً من العلماء يخشون من أن هذا يفتح الباب أمام أى امرأة فتطلب الخُلع من زوجها، ويُسارع بعض القُضاة المتعجلين فتنفصل عروة الحياة الزوجية وهذه الرابطة المقدسة. وينبغى كذلك، التريث فى الاستجابة لطلب المرأة الخُلع، حتى يتأكد القاضى من أن الحياة الزوجية بينهما مستحيلة وليست مجرد غضب مؤقت أو أن المرأة أغواها زميل لها فى العمل أو جار لها، أو شىء من هذا وتريد أن تترك زوجها وأحياناً زوجها وأولادها، إنّ قانون الخُلع أضاف للمرأة الكثير وليس معنى هذا أن الشريعة تغيرت أو أن حقاً شرعياً لها كان غائباً، وإنّما هو اجتهاد جديد فى ضبط أحكام الشريعة.

الفهم الخاطىء مسؤولية المجتمع

* هناك مجموعة من الامتيازات التى خصّ بها الله سبحانه وتعالى الرجل دون المرأة مثل حق الطلاق، وتعدد الزوجات، والقوامة والحصة فى الميراث. ومانلاحظه فى مجتمعاتنا أن الرجال أصبحوا يبالغون فى تفسير تلك المزاياوالصلاحيات بما يتماشى مع أهوائهم. كيف ترون «المفهوم الشعبى» لتلك المزايا؟.

– المفهوم الشعبى هذا لا يُسأل عنه الإسلام إنما يُسأل عنه المجتمع، والمجتمع مطالب بأن يتعلم الإسلام الصحيح وعلى العلماء والمربين أن يثقفوا الشعب ثقافة إسلامية صحيحة وأن ينوروا الشعب بالثقافة الإسلامية الصحيحة. فهذا بعض من آثار الثقافة الغازية ويجب أن نخرج من هذه الشقة. ولا ينبغى للرجل أن يفهم أنه مطلق العنان يطلق متى شاء ويتزوج متى شاء فهذه أشياء لها ضوابطها، والطلاق لا يجوز فى كل حالة، وهو من الكبائر إذا لم يكن لسبب معين، والتفريق بين الزوجين من أكبر الذنوب لكن المسلمين ضيعوا للأسف، الحق وأسرفوا فى استعمال الطلاق، وساند الفقه التقليدى ذلك بحيث إن الرجل إذا حلف فى السوق على شخص آخر بالطلاق أن يفعل كذا وكذا ولم يفعل إنّ امرأته تصبح «طالقاً». وأحياناً «طالقاً» بالثلاث، أى ليس له حتى حق الرجعة! وهذه الاجتهادات موجودة وسائدة ولكن الإسلام ضيق فى الطلاق. وقد أسرف المجتمع فى استخدام الطلاق فى غير موضعه، وكان الشاعر العراقى معروف الرصافى قد وقع فى مشكلة مشابهة حينما طلق امرأته بالثلاث عقب مشادة معها، وأفتاه الجميع بوقوع الطلاق وأنه لا سبيل لعودتها إليه إلاّ بعد زواجها بما يدعى «المحلل» وهو ملعون فى الإسلام، حتى أفتاه البعض بمذهب ابن تيمية. وحتى بالنسبة لتعدد الزوجات فهذا ليس متاحاً للرجل كلما شاء وإنما لابد أن يكون قادراً على النفقة على بيتين، ولابد أن يكون قادراً على إحصان الزوجتين ولابد أن يكون واثقاً من العدل بينهما ﴿ **فإنّ خِفْتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَواحِدةً** ﴾. صدق الله العظيم

حوار فى التحديات الجادة أمام العقيدة (٢)

الشيخ القرضاوى:

العلاج بالقرآن كما يعرض اليوم بدعة لم تمارسها عصورنا الزاهرة

تناول الجزء الأول من هذا الحوار الممتع مع الدكتور يوسف القرضاوى،

موقف الإسلام من الأحوال الشخصية، مع اهتمام خاص بالزواج بأنواعه وما يقرّه الشرع الإسلامى، أو يرفضه، بالإضافة إلى الطلاق وتعدد الزوجات، كما عرض للموقف من «الخلع» بما يثيره من جدال فى الوقت الحالى.

ويركز الجزء الثانى هنا على قضايا معاصرة عدة، مثل العلوم والطب والتكنولوجيا، ومفهوم الأخلاق، والسلوكيات الصحيحة.

ويضع الشيخ القرضاوى فى هذا الحوار النقاط على الحروف فيقدم الموقف الإسلامى الواضح، انسجاماً مع حقيقة وضوح العقيدة الإسلامية ذاتها.

ثقافة مغلوطة وأخرى غازية

* تحدثتم فى مقدمتكم للكتاب التعريفى بخدمة «إسلام أون لاين» عبر شبكة الإنترنت عن نوعين من الثقافات ينبغى التصدى لهما: الأول هو الثقافة الموروثة المغلوطة، والنوع الثانى هو الثقافة الوافدة الغازية. فما هو المقصود بذلك؟ وكيف تقيمون حجم خطر كل منهما؟

** ما أريده بالثقافة الموروثة المغلوطة هو التخلف فى تاريخنا الإسلامى. ونحن نعلم أن تاريخنا الإسلامى قد مر بمراحل. فهناك عصر الازدهار والتجديد والاجتهاد والابداع فى العلم، وفى الأدب، والتطور فى الصناعة، ثم جاءت عصور فيها انحطاط وتخلف، كانت لها رواسب فى الأفكار، مثل شيوع عقيدة الجبر التى ترى أن الإنسان ليس له إرادة ولا اختيار، وشيوع الاعتقادات الشركية، والاعتقادات فى القبور والأولياء والأضرحة، وتفسير التوكل على أنه تواكل، وإهمال الأخذ بالأسباب، وتفسير الزهد على انه إعراض عن الحياة وعن الإنتاج للحياة والحبس العلنى للمرأة والتضييق عليها، حتى رأينا بعضهم يقول إن المرأة الصالحة لا تخرج من بيت أبيها إلا مرتين: مرة إلى بيت زوجها، ومرة إلى قبرها.

وهذه الأشياء هى ما أقصده بالثقافة الموروثةالمغلوطة، ثقافة عصور التخلف، وهى لا تمثل الثقافة الإسلامية الصحيحة ولا تمثل الإسلام كما هو فى ينابيعه الصافية، وكما فهمه الصحابة والتابعون لهم بإحسان والقرون الأولى.

أما الأمر الثانى، وهو الثقافة الوافدة الغازية فقد أضيفت الى الثقافة الموروثة المغلوطة، وهى ثقافة عصور الانحطاط، وجاءت هذه الثقافة الوافدة إلينا فى فترة ضعفنا ووصول الحضارة الغربية إلى الأوج، ودخول الاستعمار الغربى الى بلاد المسلمين، وتمكنه منهم، وانبهار المسلمين بهذه الثقافة أو هذه الحضارة، وما حملته من أفكار ومفاهيم وتقاليد وشرائع وأنظمة. وأصبنا فى فترة الانبهار هذه بأشياء كثيرة، فهذه الثقافة لها فلسفة معينة، ومن ضمن فلسفتها، المادية، أى أنها لا تؤمن كثيراً بالروحانيات ولا بما وراء الطبيعة. وهذه الأشياء - كما قال ليوبولد فايز - «إن الحضارة الغربية لا تجحد الله البتة». يعنى ليس جحوداً صريحاً ومطلقاً، ولكن ليس لله مكان فى نظامها الفكرى.

فالثقافة الغربية ثقافة تغلب عليها المادية والحسية، كما تغلب عليها النفعية أى أنها لا تعتبر المبادىء أولاً ثم المصالح ثانياً. ولكن المصالح أولاً ثم المبادىء ثانيا إن كان ولابد منها، وشاعت الإباحية فى هذه الثقافة التى انتهت إلى ما نراه الآن من إباحة الشذوذ الجنسى واطلاق إباحة العلاقات الجنسية بين الرجال والنساء وزواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ونوادى العراة «العرى المطلق». فهذه هى الثقافة الوافدة الغازية.

ونحن مبتلون بهاتين الثقافتين: الثقافة الأولى بتأثيرها غالباً على الجماهير، والثقافة الثانية بتأثيرها غالباً على النخب والصفوة المثقفة، ومهمتنا، نحن المفكرين والدعاة فى عصرنا، أن نستخدم الأدوات المختلفة، ومنها الإنترنت لمقاومة هذين النوعين من الثقافة لنبرز الثقافة الإسلامية الصحيحة التى تمثل الإسلام بشموله وتوازنه وعمق نظرته الى الكون والحياة والإنسان، وإلى الله، وإلى الوجود، وإلى التاريخ.

الربا البنكى حرام

* مازالت مسائل البنوك وفوائدها غير واضحة بالنسبة لكثير من الناس، خاصة ما يتعلق بحدود الحلال والحرام فيها ما هو رأى فضيلتكم؟

– لقد أجمعت كل المجامع الفقهية الإسلامية ابتداءً من مجمع البحوث فى الأزهر الشريف، الذى أجمع سنة ١٩٦٥ برئاسة الإمام الأكبر الشيخ حسن المأمون وبحضور ممثلين من العلماء من ٣٥ دولة إسلامية على أن فوائد البنوك هى الربا الحرام، وأكد هذا المجمع الفقهى، ورابطة العالم الإسلامى، وأكده المجمع الفقهى الإسلامى المنبثق من منظمة العمل الإسلامى، وأكد هذا أيضاً مؤتمر الفقه الإسلامى العالمى، المنعقد فى السبعينات وأكدته مؤتمرات المصارف الإسلامية التى انعقدت فى دبى والكويت واسطنبول والقاهرة.

وأصبح هذا أمراً معلوماً، وكاد هذا الملف يغلق لولا أن أحد العلماء ظهر برأى جديد، غير معتبر حقيقة. والعلماء متفقون أو شبه متفقين على أن فوائد البنوك حرام، ومن أجل هذا قامت البنوك الإسلامية، كان الاتفاق على تحريم الفوائد نظرياً أول الأمر، وحينما تساءل الناس: أين البديل؟

وجدت البدائل، وهى البنوك والمصارف الإسلامية التى انتشرت فى العالم الإسلامى كله. ونحن الآن فى مرحلة تحسين هذه البدائل، لأن فيها أيضاً بعض نقاط الضعف التى نحاول تفاديها وتطوير وتحسين آليات تلك البنوك.

الاستنساخ بين الإجازة والتحريم

* أتاح الاستنساخ الوراثى التكاثر بجنس واحد دون الآخر. . . ما هو حكم الشرع فى ذلك خاصة فى حالة تطبيق الاستنساخ على الإنسان؟ وما مدى أهمية سلطة الدين على العلم؟

– الاستنساخ إذا كان فى النبات فلا حرج فيه بهدف زيادة الإنتاج وتحسين النوعية إلى آخره. أما بالنسبةللحيوان فلا أقول بإجازته بإطلاق ولكن يجوز إذا لم يكن فيه إيذاء للحيوان، الذى أمرنا أن نرحمه، ويقول النبى ﷺ: «دخلت امرأة النار فى هرة حبستها. . فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض». فإذا كان الاستنساخ لا يؤذى الحيوان فلا مانع منه. وهو غير جائز إن كان فيه أذى للحيوان.

أما إجراء الاستنساخ على الإنسان فهذا لا يجوز – بأى حال من الأحوال – لما فيه من فساد للحياة التى أقرها الله سبحانه وتعالى بألوان مختلفة. كما أخبرنا بذلك فى كتابه العزيز بقوله ﴿ **مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُه** ﴾ صدق الله العظيم. ويعنى ذلك أنواعاً مختلفة ولكن ليس شيئاً واحداً يتكرر. لذا نجد أن كل إنسان مخالف للآخر في الملامح والمظهر والبصمة وما إلى ذلك.. فإذا تم استنساخ شخصين متطابقين كيف يمكن أن تتعرف المرأة على زوجها، مثلا، أو نعرف أن هذه العلامة خاصة بفلان؟ وغير ذلك الكثير ما يعنى ظهور مفاسد فى الحياة الاجتماعية والحياة العامة. ومن أجل هذا لا يجوز إدخال الاستنساخ الى المجال الإنسانى.

ويستطرد القرضاوى قائلا:

تتمثل الفطرة السوية فى إقامة حياة زوجية بين الزوجين، لتحقيق السكن والمودة والرحمة وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ صدق الله العظيم. كما أن الحياة الزوجية والأسرية السوية ضرورية. حتى ينشأ الأولاد فى ظل أسرة يتعلمون خلالها المحبة والتعاطف والتعاون والايثار واحترام الملكيات. بينما يعنى الاستنساخ الاستغناء عن الأسرة التى تمثل ضرورة حيوية و اجتماعية للإنسان. وهذا أمر لا يمكن أن تقبل به الشريعة القويمة.

العلم والدين

ويخلص الدكتور يوسف القرضاوى من ذلك إلى القول إنه ينبغى لهذا ألا يعطى العلم الحل فى أن يفعل ما يشاء وإنما يجب أن نقيد العلم بالدين والأخلاق والقيم وقد أقمنا منذ سنوات ندوة فى جامعة قطر كان موضوعها العلم والدين والتشريع واشتركت فيها كلية العلوم وكلية الشريعة فى الجامعة والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، وجمعية الدعوة الإسلامية فى ليبيا.

وقد أجمعنا جميعاً من كافة الاختصاصات غير أنه لا يمكن أن يطلق الحبل على غاربه للعلماء، يفعلون ما يشاءون، بل لابد أن نقف لهذا الأمر للتأكد من أن السبل التى يسلكها العلم مقبولة دينياً وأخلاقيا واجتماعيا، ولابد أن تكون هناك سلطة للقيم الدينية والأخلاقية على العلم. ويستدرك قائلا:

ومما يعنيه هذا أنه لايوجد ما يمنع من استخدام النافع من الاستنساخ بما لا يؤثر على الثوابت الدينية والقيم الأخلاقية التى يعترف بها المجتمع ويجمع عليها، تماماً كما هو الحال مثلاً بالنسبة لعلوم الذرة. التى يمكن الاستفادة منها سلمياً فى مجالات عديدة منها الطب والصناعة وإنتاج الطاقة وغيرها والابتعاد عن استخدماتها المدمرة والمهلكة كما فعلت أمريكا بضرب هيروشيما ونجازاكي فى نهاية الحرب العالمية الثانية.

بدعة العلاج بالقرآن

* شهدنا حديثا وجدالا واسعاً حول العلاج بالقرآن ومشروعيته وجدواه وموقعه من العلوم الطبية.. فما قولكم؟

– هذه بدعة ابتدعها أناس فى عصرنا ولم نعرف فى العصور الإسلامية الزاهرة أناساً فتحوا عيادات ليعالجوا الناس بالقرآن، بل حدث العكس إذ عرفت عصور الازدهار الإسلامى الأطباء الكبار. وعرفت الكتب الطبية التى مثلت مراجع للعالم عرفت «القانون» لابن سينا و«الحاوى» للرازى، و«الكليات» لابن رشد. و«التعريف لمن عجز عن التأليف» للزهراوى. وعرفت أطباء كباراً كان بعضهم علماء دين فى الوقت ذاته، فصاحب «الكليات» ابن رشد، كان طبيباً. وهو نفس صاحب كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد، والفخر الرازى هو صاحب «تفسير الرازى» و«المحصول فى علم الأصول» وغيرهما وقال الذين ترجموا له تاريخه إن شهرته فى الطب لم تكن تقل عن شهرته فى علوم الدين. وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى فقيه من فقهاء الشافعية، ترجم له تاج الدين السبكى فى كتابه الشهير «طبقات الشافعية».

وعلينا أن ننظر الى الطب من هذه الناحية. وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء. علمه من علمه، وجهله من جهله» وقال عليه الصلاة والسلام: «لكل داء دواء. فإذا أصيب دواء الداء برىء بإذن الله». وهذا يعطى الأمل للمريض انه ليس هناك داء عضال، ويعطى الأمل للطبيب فيبحث عن الدواء للداء. ونحن، كمسلمين، لا نقول ان السرطان مثلاً لا دواء له. فهو له دواء ولكن لم نصل إليه بعد، وكذلك الإيدز له دواء،ولكن لم نصل إليه بعد.

ويضيف الدكتور القرضاوى:

كيف نأتى اليوم ونرى أناساً يفتحون عيادات للعلاج بالقرآن؟ القرآن شرع الأدوية الروحية وهى التعاويذ والرقى. فالإنسان يرقى نفسه أو يرقيه غيره، والرقى ان يرقى الإنسان نفسه فيقرأ الفاتحة وآية الكرسى وسورة الإخلاص مثلاً، أو يرقيه أحد أهل بيته ولا يشترط أن يكون شيخاً أو مطوعاً، ولذلك استعمل النبى ﷺ الطب وكان يحث بعض الناس على أن يتداووا عند الطبيب الثقة المعروف فى ذلك الوقت الحارث بن كلده، ولم يكن قد أسلم بعد. وهذا يعنى جواز العلاج عند طبيب غير مسلم إذا كان طبيباً مأموناً وثقة واشتهر بالطب أكثر من غيره. وقد جاء طبيبان ليفحصا بعض المسلمين فسألهما الرسول ﷺ «أيكما أطبب؟» أى أيكما أمهر وأحذق؟ فقيل: هذا. فقال ﷺ: «يعالج هذا». ويعنى بذلك المفاضلة بين الأطباء واختيار الأرجح علماً والأكثر حذقاً.

أما أن يدعى أحدهم أنه يعالج بالقرآن ويمسك واحداً فيضربه حتى يخرج منه الجن والشيطان، فهذا ما أنزل الله به من سلطان، ولم نر أحداً من الصحابة الأجلاء مثل ابن عباس أو ابن مسعود فتح عيادات لذلك. فابن عباس كان اسمه ترجمان القرآن. ولكننا ما عرفنا أن أحداً جاء له وقال: يا ابن عم رسول الله عالجنى بالقرآن. ولو حدث ذلك، لقال له: «أعيذك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» أو قرأ عليه سورة الفلق أو الناس.

تريث وليس تأخيرا

* هناك عدد من القضايا الحديثة التى تستجد على الساحة ولا يتم إعلان الحكم بشأن مدى مشروعيتها بالسرعة الكافية من جانب المحافل الفقهية الإسلامية ما قد يؤدى إلى وقوع كثير من الناس ضحايا الآراء والاجتهادات الشخصية لحين صدور الحكم بشأنها، ومن ذلك نقل وزراعة الأعضاء وزواج المسيار والاستنساخ وفوائد البنوك.. فما مدى صحة هذا الرأى؟

– أولا بالنسبة لفوائد البنوك. فقد أفتت بشأنها كل المجامع الإسلامية، إذن هذا الرأى ليس صحيحا. والقضية الثانية نقل وزراعة الأعضاء فقد عقدت ندوات عديدة فى هذا المجال أفتى فيها المجمع الفقهى حيث عقدت ندوة فى الرباط اجتمع فيها الأطباء والفقهاء. وحدث مثل هذا فى الكويت فى مؤسسة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية التى تجمع بين الأطباء والفقهاء. وأنا عضو فيها. وتعقد كل سنتين تقريبا ندوة حول موضوع مختلف. وأخذ موضوع نقل وزراعة الأعضاء أكثر من حلقة من الحلقات. حتى صدرت الفتوى بشأنه، ولى فتوى فى كتاب «فتاوى معاصرة» وهى فتوى مطولة حول زراعة الأعضاء. ونوقش هذا الأمر العام الماضى فى الكويت اثناء الاحتفال بمرور ٢٠ عاماً على تأسيس جمعية نقل وزراعة الأعضاء. وقد قدمت ورقة فيه الى جانب أوراق عديدة أخرى قدمها عدد من الفقهاء والأطباء. فهذا الرأى ليس صحيحاً، حيث أخذت هذه الأمور حقها من البحث.

ولكن المؤسسات والمجامع الفقهية لا تستطيع أن تفتى فى كل الأمور بسرعة لأن كل أمر منها يتم عرضه على الفقهاء. ويُطلب منهم إعداد بحوث حوله، تمهيداً لتقديمها ونقاشها فى دورة من دوراتها السنوية لينتهوا بعدها إلى رأى. وقد يتم تقديم تلك البحوث ولكنها تكون غير كافية لإنضاج الرأى فيؤجل إصدار الفتوى بشأنه إلى دورة قادمة حيث لايراد سلق الأمور سلقاً إنما يراد أن يُخدَم الأمر خدمة جيدة.

الديمقراطية ليست حكم الشعب فى مقابل حكم الله

منذ شيخت الجماهير يوسف القرضاوى وهو ظاهرة فريدة، لا تقتصر على كونه عالماً من علماء الأزهر الشريف، ولا فقيها من فقهاء الشريعة، ولكنه مفكر للصحوة الإسلامية استطاع - مع المعتدلين - أن ينقلها من تيار التشدد فى بكورة نشأتها فى السبعينات - إلى تيارالاعتدال. إنه رائد الفكر الإسلامى الوسطى المعتدل. ومع أن فضيلة العلامة د. يوسف القرضاوى نشأ فى الأزهر، والتحقق بجماعة الإخوان المسلمين التى أنشأها الإمام حسن البنا فى ١٩٢٨ فى مصر وانتشرت فى أنحاء العالم حتى صار لها تمثيل فى أكثر من « ٧٠ » بلدا، مع وجود هذين المؤثرين فى شخصية الرجل فإنه قد وصل بعلمه وفقهه وجهده إلى أن يكون الآن عالما ومفكراً مستقلاً غير مرتبط بأى تنظيم إسلامى سواء أكان الإخوان المسلمين الذين يدافع عنهم ويعتز بهم أو غيره من الجماعات الإسلامية التى يثق أغلبها فى فتاواه وفقهه.. كل ذلك دفعة إلى أن يكون محلا لثقة الكثير من جماهير الأمة الإسلامية عبر ما يظهر فى أكثر من فضائية عربية تستضيفه وتسارع الجماهير لمعرفة رأية وفتاواه فى كثير من القضايا الإسلامية المعاصرة العامة والخاصة. لذلك فنحن لا نبالغ إذا قلنا إنه عالم صاحب مشروع حضارى واضح له ثوابت كما أن له مرجعيته الإسلامية التى تحكم ظلال فتاواه والتى تثير دائما جدلا كبيرا خاصة ما يتعلق منها بالشق السياسى مثل فتواه بتحريم الصلح مع « إسرائيل » والتنازل عن أى جزء من أرضها للصهيونيين ومثل تحريمه تناول الإفطار فى القاهرة على مائدة السفير الصهيونى، إضافة لفتاواه فى مسائل الحلال والحرام التى أصدرها فى كتاب منذ أكثر من أربعين عاماً.

إنه شاهد على أحداث القرن العشرين وهو معاصر لكثير من أحداثه.. لذلك كان الحوار معه ساخنا فى منزله بمنطقة الخليج العربى « الدفنة بالدوحة » لم تنقصه الصراحة التى تناولت أدق القضايا السياسية لعل أكثرها إثارة للجدل هى علاقة الإخوان المسلمين بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

إنها علاقة جدلية لا ينتهى البحث فيها.. لقد تحدث عن كثير من هذه العلاقة وقال رأيه فى شخصية الزعيم جمال عبدالناصر وعلل أسباب خلافه مع رجال الثورة. وفى الشأن الحاضر لم يخف موافقته على قيام أحزاب غير إسلامية فى الدول الإسلامية، ولكنه طالب الحكومات بأن تسمح للشباب الإسلامى بأن يمارس العمل السياسى الديمقراطى الذى بدأ يتوجه إليه بدلا من أن يتحول للعمل السرى، وأكد فى الوقت نفسه على أهمية العمل الجماعى للإسلام مبغضا العمل الفردى.. وإذا كان للقرضاوى موقع خاص على شبكة الأنترنت فإن المشروع الكبير الذى دشنه القرضاوى فى العام الماضى (الإسلام على الانترنت) قد أطلق عليه «جهاد العصر» إذ يقدم الإسلام بشموله ووسطيته إلى البشرية على شبكة الانترنت.. إنه حوار ساخن، لكنه حوار فتح فيه القرضاوى كل الملفات وتميز بالصراحة والحرية فى الطرح والإجابة:

العلامة القرضاوى شاهدا على أحداث القرن العشرين

اتصالى بالإخوان المسلمين كان نقلة نوعية لى من التدين الفردى إلى الوعى بالإسلام كمنهج شامل

* نود أن نتوقف معك عند لحظة وصالك الأولى بالحركة الإسلامية وانتمائك إلى جماعة «الإخوان المسلمين» خاصة أنك ولدت قبل عامين من إعلان الامام حسن البنا عن تشكيل هذه الجماعة فى ١٩٢٨.. كيف التحقت بالجماعة وكيف تخلق لديك الوعى «الصمودى الإسلامى» إن صح التعبير هل من خلال دراستك فى الأزهر أم من خلال تفاعلك مع عناصر من الجماعة؟

– فى الحقيقة عرفت الإخوان حينما كنت طالبا فى السنة الأولى الابتدائية بمعهد طنطا الدينى.

فقد كان من عادة جماعة «الإخوان المسلمين» الاحتفال بالمناسبات الدينية كبدء السنة الهجرية وغزوة بدر وليلة الإسراء والمعراج وغيرها من المناسبات،

وذلك كوسيلة لربط الناس بالإسلام وتذكيرهم بالمعانى والبطولات الاسلامية..
فى هذه السنة كان الشيخ حسن البنا مدعواً للاحتفال بالسنة الهجرية النبوية فى طنطا وقد أبلغنى ابن عمتى الذى كان فى السنة الرابعة الابتدائية وكنت أقيم معه فى السكن أن أنتظر بينما هو سيتوجه مع زملائه الى حضور الاحتفال، لكننى رفضت وألححت فى ان ارافقهم مُصراً.. وبالفعل توجهت معهم الى مقر الاحتفال واستمعت إلى عدد من الخطباء ثم انبرى الشيخ البنا خطيبا فوجدتنى استمع الى كلام جديد ومضمون مغاير لم أسمعه من قبل، فمنذ الصغر استمع فى مثل هذه المناسبة الى ذات الكلمات وذات المضامين عن العنكبوت والحمام والغار ومختلف أبعاد القصة، غير أن الشيخ البنا تحدث بلغة وفهم جديد عن الهجرة ووصفها بأنها كانت حدا فاصلا بين عهدين: عهد تكوين الفرد فى مكة وعهد تكوين المجتمع فى المدينة وأسس هذا المجتمع.. وكدت احفظ ما قاله الشيخ. فقد كان مرتب الذهن والفكر.. وكان واضح الاسلوب وناصع البيان وبعد أن عدت إلى السكن كررت ما قاله الشيخ معجبا فأبدوا دهشتهم من هذا الولد الذى حفظ كلمات الشيخ..

من هذا اليوم أخذ إعجابى بالشيخ يترسخ فى ذهنى ويتزايد يوما بعد يوم وأنتظر قدومه الى طنطا متلهفا فى المناسبات الدينية المختلفة.. ولم أترك أى مناسبة إلا وأتوجه إليها للاستماع اليه.

جوالة الإخوان

وثمة أمر آخر شدنى لـ«الإخوان المسلمين» فقد كان لديهم «الجوالة» الذين كانوا يطوفون بمدينة طنطا يتقدمهم شخص يحمل مصحفا وعلم الإخوان ويهتفون بنداءات كانت تهز مشاعر المرء هزا من قبيل: الله غايتنا والرسول زعيمنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا.. لا إله إلا الله محمد رسول الله عليها نحيا وعليها نموت وفى سبيلها نجاهد حتى نلقى الله.. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، ولعلى شاهدت هذا المشهد واستمعت الى تلك

الكلمات قبل أن استمع للشيخ البنا وهو ما دفعنى للسؤال عن هؤلاء الشباب فأبلغونى أنهم شباب جماعة «الإخوان المسلمين» ولم أكن أعلم شيئا عن هذه الجماعة فأخبرونى أنها جماعة تسعى للحكم بالقرآن ووجدت ذلك يتجاوب مع فطرتى كشاب مسلم وأزهرى وهو ما دفعنى لأن أحب «الإخوان» وأتردد على مقريهما فى طنطا حيث كانت لهما شعبتان بقسم أول وقسم ثان، وذلك دون أن أسجل نفسى عضوا بالجماعة حتى السنة الرابعة الابتدائية بالمعهد الدينى.. فقد دعيت فى هذه السنة لالقاء قصيدة شعر أمام شعبة الإخوان فنالت الاعجاب والاستحسان وما زلت أذكر مطلعها الذى يقول:

قلبى يحس برحمة تتدفق ويرى الملائك قد احدقوا

فسألونى لماذا لا تنتظم عضوا فى الجماعة فقلت لهم إننى أعد نفسى من ضمنهم لكنهم طلبوا منى أن أملأ استمارة بيانات وهو ما فعلته ومن ذلك الوقت وكان فى العالم الدراسى ٤٣ / ١٩٤٤ بدأت علاقتى التنظيمية بجماعة الإخوان وأخذت أمارس نشاطى عبر قسمين أحدهما خاص بالطلاب والثانى يتعلق بنشر الدعوة وهو ما اتاح لى التوجه الى البلاد المحيطة بطنطا فى مهمات تتصل بالدعوة الإسلامية وتوعية الناس بالقضية الوطنية والتى بدأت فى البروز والتصاعد فى ذلك الأوان، وأذكر أن الشيخ البنا كان يتجول فى مختلف الأقاليم والمحافظات المصرية لعقد مؤتمرات كانت فى غاية القوة و توهج الروح ولم نفهم أبعاد القضية الوطنية الا من الشيخ البنا الذى كان يقدم شرحا وافيا لمختلف هذه الأبعاد فى حماس منقطع النظير لا ينقصه المنطق، ولعلى اذكر المؤتمر الذى عقده الشيخ فى مدينة طنطا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية والذى تحدث فيه عن ثلاثة محاور: وهى طبقا لتوصيفه قضيتنا وسيلتنا، دعوتنا فيما يتعلق بالمحور الأول «قضيتنا» تحدث عن قضية الوطن الصغير وهو وادى النيل شماله وجنوبه وليس مصر فقط، وكان يقول: مصر هى السودان الشمالى والسودان هو مصر الجنوبية وحصر هذه القضية فى بعدين الجلاء.. ووحدة وادى النيل ثم عن قضية الوطن

الكبير وهو الوطن العربى الذى يبدأ من الخليج (الفارسى) كما كان يطلق عليه فى ذلك الوقت حتي المحيط الأطلسى، ولا أخفيك أننى لأول مرة كنت أعلم حدود الوطن العربى.. ثم عن قضية الوطن الاكبر وهو الوطن الإسلامى من المحيط الى المحيط أى من المحيط الهادى الى المحيط الأطلسى.

من جاكرتا الى الدار البيضاء هكذا كان يقول الشيخ رحمه الله.

ثم تحدث عن وسيلتنا ودعوتنا.. باستفاضة فى إطار رؤية «الإخوان المسلمين».

أريد أن أخلص من ذلك الى أننى منذ أن توجهت للدراسة بمعهد طنطا الدينى ارتبطت بحركة «الإخوان المسلمين» وانتظمت فيها رسميا من السنة الرابعة الابتدائية.

نقلة نوعية

* فى هذه الفترة هل تكون لديك وعى سياسى بدور جماعة «الإخوان المسلمين» أم أن انتماءك اليها كان منطلقا من العاطفة الدينية كمسلم وكدارس فى الأزهر؟

– لقد كان اتصالى بجماعة «الإخوان المسلمين» بمثابة نقلة نوعية من التدين الفردى الذى عرفناه فى القرية وتلقيناه من مشايخها فى المواعظ والدروس وخطب الجمعة وليالى رمضان الى الوعى بالاسلام العام كمنهج شامل وحركة فى الحياة تبتغى الاصلاح.. وفى ظل ارتباطى بالأخوان تمكنت من تصحيح مفهومى للإسلام.. من مجرد كونه تدينا فرديا الى رسالة شاملة. وقد كان الشيخ البنا حريصا فى لقاءاته ورسائله على تكريس هذه المفاهيم فالاسلام فى منظوره: دين ودولة ومصحف وسيف وصلاة وجهاد وعبادة وقيادة.. فضلا عن تكثيف الاهتمام بقضايا المسلمين «ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» كذلك ونحن طلاب.. حسبما أتذكر كنا نخرج فى الثانى من نوفمبر من كل عام احتجاجا على وعد بلفور وهو ما كان مؤشرا على أن قضية فلسطين كانت حية فى وجدان عناصر الجماعة وغيرها من القضايا المثارة فى ذلك الوقت كقضية تونس والجزائر ومراكش «المغرب» فضلا عن قضية كشمير.

إلى جانب ذلك كانت الدعوة قوية إلى أن نحكم بالقرآن وبالشريعة الإسلامية عوضا عن الحكم بالقوانين الوضعية التى فرضها الاستعمار على البلاد.

أول لقاء بالشيخ البنا

* هل تذكر أول لقاء لك بالشيخ البنا.. وكيف كان تفاعلك معه على المستوى الشخصى؟

– لقاءاتى بالشيخ البنا كانت عبارة عن لقاء تلميذ وطالب بقائد كبير، وكما ذكرت سابقا، كنت حريصا على اللقاء به وحضور المناسبات التى يشارك فيها فى طنطا.. بل كنت أحيانا اتوجه إلى المدن الأخرى ككفر الزيات أو دسوق لمتابعة لقاءاته الجماهيرية ومحاضراته، وأذكر أننى سافرت إلى دسوق عبر قطار كان يسمى قطار «الدلتا» يتحرك بين المدن والقرى والمزارع فى منطقة الدلتا وكان بوسع أى شخص أن يوقفه ليركبه من مجرد الإشارة وكان أهم ما يميزه رخص أجرته.. وتابعنا الشيخ أيضا عندما زار «المحلة الكبرى» و«محلة أبو على» والتقينا معه فى بعض الأحيان فى طنطا، ولكن أول لقاء لى معه بشكل مباشر كان لدى زيارته لطنطا وألقيت أمامه قصيدة نشرتها فى ديوان «نفحات ولفحات» وقد أبدى إعجابا بالقصيدة وأذكر أنه وصفنى آنذاك بالشاعر المطبوع وكان معه سكرتيره الخاص الاستاذ سعد الدين الوليلى الذى أخذ القصيدة معه.. ثم التقيت بالشيخ فى بعض المناسبات الأخرى فى المركز العام ولكنه وكّل الشيخ الباقورى ليواصل معنا اللقاء لارتباطه، ومرة توجهنا إليه للحصول على إذن منه بخصوص أحد زملائنا من طلاب معهد طنطا الذى كان بالغ الحماس للتطوع فى حرب فلسطين واسمه «عبدالوهاب البتانونى» فالشيخ لم يكن يسمح لشباب المرحلة الثانوية بالتطوع فى هذه الحرب وكنا من قبل قد حصلنا على موافقة والدته بشق الأنفس ولكن مع زميل آخر هو احمد العسال استطعنا إقناعها بعد ان حدثناها عن الجهاد فدمعت عيناها وقالت لابنها: استودعك الله.. فهو خير حافظ، وقد استشهد هذا الشاب فى حرب فلسطين. وأذكر بهذه

المناسبة أننى وعبدالوهاب البتانونى كنا نذهب الى الشيخ البهى الخولى فى جلسة نسميها « كتيبة الذبيح » نصلى فيها معه الفجر ونتدارس فيها أمور القرآن والفقه وقد كان الشيخ الخولى يقول: كلما رأيت عبد الوهاب رأيت دم الشهادة يترقرق فى وجهه وكان يناديه سيدى عبدالوهاب البتانونى.

اندماج كلى

* كيف تطورت علاقتك بجماعة الإخوان المسلمين فيما بعد هل أصبحت عضوا نشطا خلال دراستك الجماعية فيما بعد.. خاصة أن الصراع بدأ يبرز بين الجماعة والسلطة فى ذلك الوقت؟

– كنت مندمجا بكلى فى الإخوان.. حتى حلت الجماعة فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ ردا على مقتل النقراشى باشا رئيس الوزراء فى ذلك الوقت من قبل نفر من شباب الجماعة المتحمسين، وقد تبين من الوثائق فيما بعد أن سفراء كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فى « فايد » بالقرب من الاسماعيلية اتفقوا على أن يطلبوا من النقراشى – وهو ما حدث بالفعل – حل جماعة الإخوان المسلمين وقد اتضح أن ذلك كله يصب فى صالح الدولة الوليدة « إسرائيل » فى ذلك الوقت. فقد كان الإخوان من المناهضين بقوة لقيام هذه الدولة وكان لهم متطوعوهم فى الميدان وهو ما حتم الصدام.. وحلت جماعة الإخوان المسلمين وتعرض أعضاؤها للاعتقال غير أن قليلا من أعضائها من طلاب المرحلة الثانوية الذين تم اعتقالهم وذكر أنهم كانوا أربعة أو خمسة من طلاب معهد طنطا الدينى وكنت واحدا منهم.

أول اعتقال

* كيف حدث الاعتقال؟

– لقد طلبتنا قوات الشرطة أنا وزميل آخر لى اسمه محمد الدمرداش – انتقل الى رحمة الله – وقد كنا دوما متلازمين فى الدراسة وفى السكن وفى الانتماء للجماعة وفي الدعوة وحتى فى المحنة.. وبعد أن علمنا بنية الشرطة

لاعتقالنا توجهنا الى قريته للاختباء فيها وهو ما ينبيء عن سذاجة تفكيرنا فبعد أن لاحظت الشرطة اختفاءنا معا توجهت الى قريتى ولم تعثر علينا وعلى الفور توجهت الى قرية محمد الدمرداش، وعندما شعرنا بحركة القوات سارعنا الى الصعود الى السطح والهبوط منه الى منزل الجيران فاختبأنا لكن قوات الشرطة أمسكت بوالدة زميلى كرهينة وهو الأمر الذى دعانا فيما بعد إلى تسليم انفسنا وأخذونا الى نقطة البلدة التى تسمى «مهطاى» ثم الى مركز زفتى الذى تتبعه هذه القرية وأمضينا ليله به ومنه أحلنا الى قسم أول طنطا وأمضينا نحو أربعين يوما بسجن المركز ثم تقرر ترحيلنا الى سجن آخر وعندئذ صافحت عيوننا عنوانا عريضا فى صحيفة «المصرى» «مصرع الشيخ البنا».

* كيف كان وقع الخبر عليكما؟

– هزّنا بعنف.. أقضَّ مضاجعنا.. فقد كان أملا بالنسبة للمسلمين ولنا بما منحه الله من مواهب وقدرات فى فهم الحياة والسياسة وما تميز به فى كيفية السعى الى الناس بمختلف ألوانهم واتجاهاتهم وما يتسم به من مرونة وانفتاح، لذلك كان الحزن عليه أعمق من أى حزن مر بى.

* ماذا لو لم يقتل الشيخ البنا فى ذلك الوقت ما هى الصورة التي كان يمكن أن تكون عليها جماعة الإخوان المسلمين؟

– المرء لا يرغب فى أن يتأول «على الله» لكنى أعتقد أنه لو أراد الله أن يطيل فى عمره فلا شك أنه سيكون له تأثير فى سير الحياة غير ما حدث فيما بعد. وأذكر فى هذا الصدد مقاله لمفكر أمريكى وصف الشيخ البنا فى مقال عنه بالرجل القرآنى وقال عنه: لا ندرى ماذا تفعل به الأحداث فقد يغير وجه التاريخ. وبعد استشهاد الشيخ عاد وذكر هذه المعاني مرة أخرى عنه. وأحسب أن الشيخ البنا كان فلتة من فلتات ذلك الزمان رغم صغر سنه فقد استشهد ولديه ٤٢ عاما فى حين بدأ حركته فى الدعوة وهو فى سن العشرين أى أنه أمضى نحو عشرين عاما فى تأسيس الجماعة وتطويرها وهو فى مقتبل الشباب.

«الترحيل»

* ربما قطع تسلسل الأحداث فيما يتعلق بقضية اعتقالك للمرة الأولى.. لقد توقفنا فيما قبل عند ترحيلك مع زميلك محمد الدمرداش من سجن قسم أول طنطا.. ما الذى جرى بعد ذلك؟

– لقد تم ترحيلنا يوم استشهاد الشيخ الى معتقل «هايكستب» بضواحي القاهرة لنرحل منه مرة أخرى الى معتقل «الطور» والذى أمضينا فيه فترة زمنية لا اذكرها بالضبط ثم تقرر إعادة المعتقلين من طلاب المرحلة الثانوية الى معتقل «هايكتسب» تمهيدا للافراج عنا، ولكن لم يقع الافراج ثم أعيد ترحلينا مرة أخرى الى معتقل «الطور» ومع سقوط وزارة ابراهيم عبدالهادى تقرر الإفراج عنا بعد أن أمضينا فى المعتقلات نحو تسعة أشهر.

شهور الاعتقال

* ما الذى كنت تفعله فى شهور الاعتقال؟ هل أعدت قراءة موقفك من الانتماء الى جماعة الإخوان المسلمين؟

– لاشك أن هذه الفترة عمقت انتمائى لجماعة الإخوان المسلمين وعمقت انتماء غيرى من المعتقلين فالمعتقل كان فرصة هائلة للتعميق والتثبيت والمزيد من التوعية والتثقيف، وأشير هنا الى كيف كنت اقضى يومى فى المعتقل.. لقد كنا نصلى الصلوات الخمس فى المسجد وهو عبارة عن منطقة محاطة بالطوب وموقع محدد للمحراب بالطبع ابنية.. وكان إمامنا فى ذلك الوقت – أنا هنا أتحدث عن معتقل الطور بالتحديد الذى أقمنا فيه فترة زمنية اطول – فضيلة الشيخ محمد الغزالى – رحمه الله.. كنا نستيقظ قبل صلاة الفجر بساعتين حيث تبدأ الحركة فى عنابر المعتقل الذى كان مقسما إلى سلسلة من الممرات وكان أحد الأخوة يمر على النائمين ليوقظهم بصوت رخيم ينادى فيه بقوله: يا نائما مستغرقا فى المنام.. قم فاذكر الحى الذى لا ينام. مولاك يدعوك الى ذكره وأنت مشغول بطيب المنام.. وهكذا. وكنا نستيقظ لدى سماعنا هذا الصوت الرقيق الرخيم

المجبب الى نفوسنا ثم يدوى فى العنابر صوت قراءة القرآن فاذا أذن الفجر توجهنا الى المسجد للصلاة وبعد انتهائنا وختامها ننتظم فى حلقات علمية مع الشيوخ الذين نرافقهم فى المعقتل، كالشيخ الغزالى والشيخ سيد سابق والشيخ عبد المعز عبدالستار وهم جميعا من شيوخ الجماعة، حتي قبيل طلوع الشمس، فنبدأ فى أداء تمرينات رياضية ثم نتوجه بعد ذلك لتناول طعام إفطارنا ثم الى عمليات تنظيف العنابر والأسرة والقيام بمهام الطبخ والتى كانت توزع دوريا على كل عنبر ثم يبدأ شيوخنا فى إلقاء المحاضرات الدينية والفكرية، وأذكر أن المرحوم الشيخ الغزالى جمع سلسلة محاضرات فى معتقل الطور فى كتاب اسماه «الإسلام والاستبداد السياسى» فضلا عن الاشتراك فى المناقشات وترديد الاناشيد الدينية..

لذلك أطلقت عبارة اصبحت مثلا فيما بعد وهى أن معتقل الطور هو المعسكر الدائم للإخوان المسلمين لسنة ١٩٤٩ السفر والمصاريف والنفقات والتكاليف على حساب الحكومة المصرية. وأذكر أن بعضا من زملاء المعتقل لم تكن لديه القدرة على المشاركة معنا ومن هؤلاء زميل اسمه حسن الزمزمى ولم يكن يستطيع أن يقشر اصبع الموز كان دائما فى حاجة إلى عون الآخرين، هكذا هى حياته لذلك اطلقنا عليه رئيس لجنة العكننة وقد افرج عنه معنا، وقد كنا نحن أول دفعة يتقرر الأفراج عنها وكان ذلك قبل امتحان الدور الثانى فى الشهادة الثانوية بنحو ١٧ يوما وقد فاتنى الدور الأول ورغم أننا قدمنا – زملائى وأنا – العديد من الطلبات ليسهلوا لنا أداء امتحان هذا الدور غير ان أحدا لم يعرنا بالاً.. وعندما عدت الى البيت تفرغت بشكل كامل لمراجعة دروسى وقد أكرمنى الله عز وجل بنجاحى متفوقا وصاحب الترتيب الثانى فى الشهادة الثانوية الأزهرية على المملكة المصرية فى ذلك الحين وكان الفارق بينى وبين صاحب الترتيب الأول نصف درجة، لذلك اقتسمنا هو وأنا الجائزة التى تمنح للأول على المملكة سويا وكانت قيمتها ثلاثة وثلاثين جنيها فحصل كل منا على ستة عشر جنيها ونصف الجنيه.

قرار غير محسوب

* ثمة من يقول يا فضيلة الشيخ إن قرار الإخوان بالمشاركة فى حرب ١٩٤٨ لم يكن محسوبا فقد لفت الانتباه إلى الجماعة وألب عليها الكثير من القوى المناهضة داخليا وخارجيا، هل توافق على ذلك الطرح؟

– هذا ما يقع فيه دائما الاسلاميون.. فهم يكونون بين أمرين، الأول: هل يبرزون للناس تنظيما وقوة حتى يلتفوا حولهم وينجذبوا اليهم أو يختفوا حتى لا يعلم الأعداء مدى قوتهم وألا يدبروا لهم المزالق والمخاطر، وهذا ما وقعت فيه الصحوة الإسلامية الأخيرة، فشبابها بمجرد أن لمسوا فى أنفسهم قوة أخذوا يستعرضون عضلاتهم ويدعون الى صلاة العيد فى ميدان عابدين بالقاهرة التى كان يحضرها اكثر من نصف مليون وكنت أقوم بالخطابة فيهم.. وأشير هنا إلى واقعة من تداعيات هذه الحالة فقد كنت بالولايات المتحدة عندما أقدم الرئيس المصرى السابق أنور السادات على اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ وكنت فى ذلك اليوم مدعوا على مائدة غداء أحد الأشخاص فأبلغنا أن نشرة الأخبار فى التليفزيون بعد نصف ساعة حتى نتابع تطورات الأحداث فى مصر وعندما فتحنا التليفزيون فوجئنا بصورة شخص معمم وصاح مضيفى على الفور أليست تلك صورتك..؟ وأجبت على الفور أجل واستعدت بسرعة هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يحملون كاميرات التصوير التليفزيونية خلال إماتى لصلاة العيد بميدان عابدين التى يحتشد فيها مئات الألوف.. أو كما ذكرت سابقا نحو نصف مليون، وكانت الكاميرات ترصد بالصورة والصوت كل حركاتى.. سواء لحظة الخطابة أو لحظة السجود أو الركوع أو غير ذلك وحتى لحظة تقديمى لأحد شباب الجماعات ليلقى كلمة فى الجمع، ولكنى بعد ذلك لا المس أثراً لهذه الصور وأتساءل فى نفسى أين تذهب هذه الصور واللقطات خصوصا انه لم تكن تظهر بالمرة فى وسائط الاعلام الرسمية، بل بالعكس كان ثمة تعتيم على مثل هذه الأمور وأذكر فقط أن الرئيس السادات أشار الى مثل هذه التجمعات فى أحد خطاباته «بيقولوا إنها

تضم ربع مليون شخص، والحقيقة انها تضم مائة ألف فقط..» وأذكر أننى كنت أواجه صعوبة شديدة فى الوصول إلى ميدان عابدين وكنت فى بعض الأحيان اضطر إلى أن أركن سيارتى ربما على بعد يتجاوز الكيلو مترا أو أكثر وذلك من جراء الأعداد المشاركة فى صلاة العيد التى لا تقل عن نصف مليون فى ذلك الوقت.

الجماعة منحلة

* كيف تفاعلت مع جماعة «الإخوان المسلمين» بعد التحاقك بكلية أصول الدين وجامعة الأزهر؟

– عندما التحقت بالجامعة كانت جماعة الإخوان المسلمين منحلة بعد أن صدر قرار من الحكومة بحلها وكان يقال فى ذلك الوقت: «إسرائيل المزعومة والجماعة المنحلة» أى أنه من الناحية الرسمية لم يكن ثمة وجود للاخوان، ولكن هذه الفترة شهدت نشاطا هائلا لشباب الإخوان، لم تكن هناك لافتات أو علامات أو أى مظاهر ذات طابع عام.. لكن عملنا وحركتنا كانت بعيدة عن ذلك كله وهو ما أدى إلى أن إنتاجنا كان فى هذه الفترة ضخما ولا نظير له، فانتشرت الدعوة انتشارا كبيرا.

* ألم تكن ثمة ملاحقة أمنية لكم؟

– كانت هذه الفترة تعيش حالة فتور أمنى تجاهنا.. بعد سقوط حكومة إبراهيم عبد الهادى خاصة بعد فترة الصراع الشديد بين الإخوان والسلطة، الأمرالذى دفع ببعض شباب الجماعة المتحمس إلى قتل النقراشى فى حين ردت السلطة على ذلك بقتل حسن البنا، وهو ما أشعل المزيد من الزيت فى نار الصراع ولم يتوقف إلا بعد سقوط وزارة إبراهيم عبدالهادى. وكنا وقتها فى معتقل الطور وأذكر أننا كنا فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان واحتفلنا بليلة القدر وشاركت فى الاحتفال بقصيدة من تأليفى وفى آخر القصيدة كانت ثمة مناجاة لله سبحانه وتعالى ودعوات عدة، وفى ليلة التاسع والعشرين من رمضان وكانت

ليلة العيد أقيلت وزارة إبراهيم عبدالهادى فصاح الإخوان: لقد استجاب الله لدعواتك فى ليلة القدر.. وبعد ذلك حدثت فترة هدوء فى العلاقة بين الجماعة والسلطة ثم أجريت انتخابات نيابية تقدم فيها عدد من رموز الإخوان بالترشيح لكن أحدا منهم لم ينجح ولكن المعركة الانتخابية فى حد ذاتها كانت فرصة لاحياء الدعوة وشاركت شخصيا فى الدعاية للمرشحين من الجماعة فى مدن عدة وبالذات فى صعيد مصر.. ولعل عدم وجود ملاحقة أمنية أتاح لنا حرية التحرك والدعوة رغم انه عند الافراج عنا حصلوا منا على تعهد بتجنب المشاركة فى أى نشاط سياسى للجماعة. وأذكر أنه بعد الافراج عنى عدت الى منزلى فى قريتى وبعد تجمع الناس الذين جاءوا للمباركة بالافراج أخذت اتحدث اليهم عن قوة الإخوان وحركتهم وأهدافهم فينظر الى البعض وكأنه يقول لى: ألم تتعلم من درس اعتقالك.

واتسمت الفترة التى سبقت قيام ثورة ٢٣ يوليو بخصوبة إنتاج الإخوان.. فقد شهدت تكريسا لوجودها وخاصة فى الأزهر الذى كاد يضحى كله منتخبا للإخوان من شيخ الأزهر الشيخ محمد الخضرى الى كبار العلماء وعمداء الكليات والطلاب.. كانت درجة انتشار الجماعة هائلة فى كل المواقع فى مصر للدرجة التى ظننا معها أنه عند قيام ثورة ٢٣ يوليو أنها ثورتنا فى أول الأمر، فقد قيل إن الضباط قادة الثورة إسلاميون ولكن بعد ذلك.. بفترة بدا لنا ان الثورة لم تقم إلا لضرب الحركة الإسلامية التى كادت تستولى على مصر سلميا فى ذلك الوقت، المسألة لم تكن فى حاجة الى عنف فالشعب كان متجاوبا مع أفكار الجماعة بعمق فى كل مكان وموقع..

حركة وطنية شاملة

* كيف تصورتم أن الثورة قامت لضرب الحركة الإسلامية بينما كانت هى حركة وطنية شاملة؟

– أجل حركة وطنية.. لكن رجال الثورة قالوا فى البداية إنها من أبناء

وأتباع الشيخ محمد الأودن وتربوا على يديه وأنهم حملوا المصاحف وعاهدوا الله على حماية دينه، كان الوجه الإسلامى واضحا بالنسبة لنا.. أقصد جماعة «الإخوان المسلمين» وراج أن لهؤلاء الضباط صلة بالإخوان.. لذلك فإن عناصر الإخوان ساهمت فى حراسة المنشآت المهمة الوطنية والأجنبية خشية تعرضها للتخريب من قبل العناصر المناوئة سواء شيوعية أو غير شيوعية.

لكن البعض اعتبر هذه الخطوة محاولة مبكرة لاستيعاب الثورة التى فى محتواها تجمع بين كافة الاتجاهات السياسية والفكرية فى مصر ولم تكن ثورة لتيار بعينه؟

- ذلك كان من ضمن رأى الثورة ذاتها فهى كانت فى حاجة إلى سند شعبى حيث كانت فى ذلك الوقت تفتقر الى هذا السند ولم تكن قد بدأت التفكير فى تنظيماتها السياسية الخاصة التى بدأت بهيئة التحرير ثم الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى فيما بعد، لذلك اعتمدت فى أول الأمر على حركة «الإخوان المسلمين» لأنها حركة منظمة ولها امتداد شعبى فى كل الآفاق.

إشكالية الصراع

* دعنا نتوقف عند إشكالية الصراع بين ثورة يوليو وحركة الإخوان المسلمين والسؤال، لماذا لم يحاول الإخوان استيعاب الثورة، بل حاولوا فى البداية فرض وصايتهم عليها، وقد قرأت قبل ايام فى مقال لأمين هويدى أن الإخوان حاولوا فرض وصايتهم على الثورة منذ أيامها الأولى من خلال اشتراط تحرير كافة القرارات والخطوات التى تتخذها الثورة على قيادة الإخوان قبل إعلانها وهو ما اعتبر ازدواجية فى السلطة الى جانب كونه وصاية؟

لقد فهم الإخوان المسألة أنهم شركاء فى الثورة فى أول الأمر ومن مقتضى الشراكة أن الشريك لا يبرم امرا ذا بال الا بمشاورة شريكه الآخر لكن تبين بعد ذلك أن رجال الثورة لم يقبلوا هذه الشراكة وقد نشروا وأذاعوا ذلك بالفعل وقالوا إن الثورة لا تقبل وصاية من أحد وأحسب أن تلك المسألة بالذات هى نقطة

الخلاف بين كثيرين من قيادات الجماعة والأستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للجماعة.. فقد كانوا يظنون أن يوليو ثورة تعبر عن الإخوان المسلمين بينما هو رفض ذلك التصور وأعلن أنها ليست ثورة الإخوان ولذلك سرعان ما تكشفت الأمور ووقع الصدام بين الثورة والإخوان.

شخصية الهضيبى

* يرى البعض أنه لولا شخصية الهضيبى كقاض وعدم إدراكه لطبيعة رجال الثورة وبشكل خاص جمال عبدالناصر، ولو انه رأى الهضيبى أحسن التعامل مع هؤلاء الضباط ونسى شيئا من طبيعته القضائية لما احتدم الصراع بين الجانبين ولسارت العلاقة بين الثورة والإخوان فى توازن مطلوب هل توافق على هذا الطرح؟

– أعتقد أن ذلك ينطوى على ظلم لشخصية الأستاذ الهضيبى فلقد تبين أن نظرته تجاه الثورة كانت أبعد وأعمق من هؤلاء الذين ظنوا أن الثورة للاخوان وأن رجالها ينتمون اليهم، وأذكر أننى فى أوائل الثورة توجهت إلى الصعيد فى رحلة دعوية بدأت من الفيوم وبنى سويف والمنيا وأسيوط وسوهاج وقنا والأقصر وإسنا وكوم امبو واسوان، وإننى قابلت فى قنا بعض ضباط الشرطة من المنتمين إلى جماعة الإخوان وشكوا لى أنهم نفوا إلى الصعيد بعد قيام الثورة. بأوامر من جمال عبدالناصر.

هل ذكروا جمال عبدالناصر بالاسم؟

– نعم.. ذكروه بالاسم وقد عرفنا من البداية مدى تأثير وقوة ونفوذ جمال عبدالناصر.

أريد أن أخلص من ذلك إلى أن الصراع وقع مبكرا بين الجانبين وكان لابد أن يحدث حتى ولو لم يكن هناك الأستاذ الهضيبى.. غير أننى أرى أنه لم يكن هناك ضرورة لهذا الصدام الدامى.

لم يكن ضروريا

* هل ترى أن الثورة كانت سببا فى احتدام هذا الصدام الدامى؟

– فى اعتقادى إنه لم يكن ضروريا الصدام مع الإخوان بهذا العنف.. لقد اصطدمت الثورة مع الإخوان منذ يناير ١٩٥٤.

* قاطعنا الشيخ: مع ملاحظة أن الثورة عندما قررت حل جميع الأحزاب التى كانت قائمة فى عهد الملكية ابقت فقط على تنظيم «الإخوان المسلمين» كما أن عبد الناصر بعد قيام الثورة توجه إلى قبر الشيخ حسن البنا.. ألا يعتبر ذلك مؤشرات ودية تجاه الإخوان وليس مبعثا للصدام.

– هذا ما طمأن الإخوان فى البداية وكانوا يصفون ضباط الثورة «بأنهم جماعتنا» خاصة أن عبدالناصر آثر عندما زار قبر الشيخ البنا المضى فى منهجه.. وهو ما أعطى نوعا من الطمأنينة على هذا الصعيد غير انه فى الوقت الذى توجه فيه عبدالناصر الى قبر البنا كنا نحن فى المعتقل.. ولاشك أن العنصر الشخصى بين الأستاذ الهضيبى والرئيس جمال عبدالناصر وعدم الاستلطاف بين الرجلين كان له تأثيره فى حدوث الصدام بين الثورة والإخوان وصل الى حد العنف، فما وقع علي الإخوان من جراء العنف لم يكون هينا، وأذكر فى هذا الصدد أنه فى يناير ١٩٥٤ جرت حملة اعتقالات موسعة ضد الإخوان.. وفى أواخر شهر مارس أفرج عنهم إبان أزمة مارس بين محمد نجيب من ناحية ومجلس قيادة الثورة بزعامة عبد الناصر من ناحية اخرى، وقد زار عبدالناصر بعد الافراج عن الإخوان الأستاذ حسن الهضيبى فى منزله كمبادرة على المصالحة واعتذار وبدء صفحة جديدة فى العلاقة بين الطرفين، ولكن يبدو لى أنه كان من قبيل التكتيك حتى تمر أزمة مارس ويتمكن عبدالناصر من فرض قبضته والامساك بزمام الأمور. فما كاد يتخلص من محمد نجيب حتى بدأت اعتقالات الإخوان من جديد.

أخطأ الإخوان

* لكن يبدو لى أنك تلقى المسئولية فى احتدام الصراع بين الطرفين على

الثورة وتحديدا زعيمها عبدالناصر.. ألا تعتقد أن ثمة أخطاء من قبل الإخوان تجاه الثورة أسهمت فى تأجيج الصراع، و.. ألم يكن بوسع الإخوان أن يقدموا على بعض الممارسات التى تخفف من التوتر مع الثورة؟

– أجل.. كان يمكن ذلك لو اتخذت أساليب أكثر ليونة بشرط أن يكون هناك تجاوب من الطرفين أيضا فإذا اقدم طرف على خطوة الى الأمام يتعين أن يقابل بخطوة مماثلة حتى تكون النتيجة فى محصلتها إيجابية.

* هل تعتقد أن ثمة قوى خارجية أذكت هذا الصدام ودفعت باتجاه تعميقه بين الثورة والإخوان؟

– لا أستبعد ذلك وإن كنت عادة فى تفسيرى للاحداث لا أحاول أن أركز على مسألة التفسير التآمرى ولكن قطعا كانت ثمة جهات يهمها اذكاء هذا الصراع حتى ولو عن طريق إيحاءات معينة.

وأتوقف هنا عند واقعة ذات دلالة فقد كلفت الثورة الأستاذ حسن الهضيبى باللقاء مع مسئول انجليزى اسمه «ايفانز» وطلبت منه أن يتشدد على صعيد المطالب الوطنية حتى يمكن توظيف هذا التشدد فى مفاوضات الجلاء ولكن بعد ذلك اعتبر ذلك خيانة من الهضيبى وأنه اتصل بالانجليز من وراء الثورة.

على أية حال.. إننى أرى أنه ليس هناك ما يمنع من اختلاف القوى المتباينة فى وجهات النظر.. لكن ما أنكره على ثورة يوليو فى هذا السياق هو ضربها بعنف وبيد من حديد واستعمال البطش والتعذيب والتنكيل الى الحد الذى رأيناه فى السجون الحربية.

* ألا تعتقد أن ثمة مبالغة من قبل الإخوان على هذا الصعيد؟

– لا.. أننى أعتقد إن كل ما قيل عن هذه العمليات لا يمكن أن يصور الحقيقة كما شوهدت.. إن القلم يعجز عن تصويرها..

هل كان يعلم

* هل كانت عمليات التعذيب بعلم زعيم الثورة جمال عبد الناصر؟